التَّشكيلات الصَّوتيَّة الذَّاتية بين علامات التَّقطيع اللغويَّة والشِّعريَّة

الدكتورة: سعاد بسناسي
كليَّة الآداب، اللغات والفنون- قسم اللغة العربيَّة وآدابها- جامعة وهران السَّانية

يعتبر المقطع الغوي أساس الدِّراسات اللِّسانيَّة؛ لأنَّ وظيفته الرَّئيسة تكمن في تكوين الصِّيغ والتَّراكيب، والمقاطع الصَّوتيَّة عبارة عن كميات صوتيَّة متتابعة؛ باعتبارها تمثِّل سلسلة كلاميَّة، معبِّرة عن خلفيات فكريَّة في المفردات والتَّراكيب. وصيغ العربيَّة تقوم على أوزان تتميَّز عن بعضها بصوائت بدايتها ووسطها ونهايتها من: ضمٍّ، وفتح، وكسر، وسكون، بدءًا بثلاثية الوزن إلى ما فوقها، وانطلاقًا من نوع المقاطع اللغويَّة لأوزان الصِّيغ الذَّاتيَّة وكمياتها الصَّوتيَّة، تتحقَّق سهولة النّطق أو تكمن صعوبته؛ باعتبار تشكيلة الصَّوامت والصَّوائت؛ وذلك ما يسعى هذا البحث لتحليله، بما أمكن من جداول توضيحيَّة.

إنَّ التَّركيز في دراسة المباني المورفولوجيَّة الحديثيَّة، يكون على الأوزان وحركة عين الصِّيغ؛ و تحليل مباني الذَّوات، يكون من خلال تشكيلاتها الصَّوتية، ذلك أنَّ اللّغويين لم يخصِّصوا للذَّوات أوزانًا كالذي خصَّصوا به الحدثيات، ويتحدَّث سيبويه عن مكوِّنات الذَّوات، فيقول إنَّه: (ليس في الدنيا اسم أقل عددا من اسم على ثلاثة أحرف، ولكنَّهم قد يحذفون ممَّا كان على ثلاثة حرفا، وهو في الأصل له، ويردُّونه في التَّحقير والجمع)"[1] " وإن كنا نلاحظ، زيادة في صوامت الصِّيغة على مجموع أصولها أثناء التَّحقير، والجمع مثل (رجل، رجيل، ورجال).

واتَّفق معظم اللّغويين، على أنَّ أصل الصِّيغ العربيَّة ثلاثي، وذلك على اختلاف أنواعها (حرف يبتدأ به، وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه)" [2]" ومن آراء المحدثين حول أبنية الأسماء، أنَّ الأصل الثَلاثي هو النَّواة الأساسيَّة"[3]" وإن وجدت آراء تخالف هذا الرَّأي؛ فإنَّ الأغلبية تجمع على ثلاثيَّة أصول الصِّيغ. وجاء في متن الشَّافية عن أبنية الاسم الثّلاثي، ما يلي: (وللاسم الثّلاثي المجرَّد عشرة أبنية، والقسمة

تقتضي اثني عشر، سقط منها فُعِلٌ وفِعُلٌ استثقالاً وجُعِلَ الدُّئِلُ منقولاً، والحِبُك إن ثبت فَعَلَى تداخل اللغتين في حرفي الكلمة، وهي فَلْسٌ كَتِفٌ عَضُدٌ حِبْرٌ عِنَبٌ إِبِلٌ قُفْلٌ صُرَدٌ عُنُقٌ)" [4] " وجميع ما جاء به صاحب المتن، هي أمثلة دون ذكر موازينها.

مع أنَّ المباني الثَّلاثة الأولى معلَّلة صوتيًّا، فالصِّفة الأولى مضمومة البداية مكسورة الوسط، وهي مقبولة في أصلها لمجيئها على هيئة الماضي المبني للمجهول، والثَّانية منعدمة في أصل العربيَّة لمجيئها على صيغة (فِعُل) التي قال فيها سيبويه: (ليس في الكلام حرف أوَّله مكسور والثَّاني مضموم)" [5]" وإن وجد في مثل (السِّنونَ) فهو إمَّا شاذ أو غير عربي؛ والتَّعليل الصَّوتي لهذه التَّركيبة المورفولوجيَّة، أنَّ النَّاطق بها ينتقل من أسفل إلى أعلى متصعِّدًا وهو ثقيل مستقبح. والملاحظ، أنَّه في الحديث عن الأفعال، يقول الدَّارسون (أوزان الأفعال) وحينما يتحدَّثون عن الأسماء يقولون (أبنية الأسماء) ولا يأتون للأسماء بأوزان ثم يقيسون عليها؛ وإنَّما يأتون بمواد ويقيسون عليها أسماء أخرى تشبهها، وتوافقها في الوزن، أي في عدد الصَّوامت وترتيب الصَّوائت.

وما جاء به ابن الحاجب من أمثلة وأدرجها ضمن الأسماء، ليست كلها أسماء ذوات، بل فيها نظر؛ إذ نجد العنوان يشير إلى أبنية الأسماء، وهو في تعريفه وتمثيله لها يقحم معها الأوصاف، وكأنَّ الذَّوات لم تحقِّق له مادَّة كاملة، فلجأ إلى الأوصاف وأضافها إليها، وجعل لها عشرة أبنية، وإن كانت القسمة تقتضي اثني عشر، فقد أعطى لصامت صدر الصِّيغة الذَّاتية ثلاثة صوائت (الفتحة والكسرة والضمَّة) باستثناء السكون وذلك لتعذُّر الابتداء به، ولعينها أربعة صوائت (فتحة وكسرة وضمَّة ثم سكون) وبإجراء عمليَّة ضرب، يكون مجموع الصِّيغ اثني عشر صيغة، تغيَّر شكلها وتشكيلها، وكذا دلالتها بتغيُّر أصواتها بتأثير عوامل الصَّوت في نطقها.

ويتَّضح تحويل الصَّوت للصِّيغ الذَّاتيَّة، وتأثيره فيها بإقرار الصِّيغ التي سهُل نطقها، في مثل: (فَعْل نحو فَلْسْ، وفَعَلْ نحو فَرَسْ، وفَعِلْ نحو كَبِدْ، وفَعُلْ نحو عَضُدْ، وفِعْلْ نحو عِدْلْ، وفِعِلْ نحو إِبِلْ، وفِعَل نحو عِنَبْ، وفُعْلْ نحو قُفْلْ، وفُعُلْ نحو قُفُلْ)" [6] " وهنا جعل صاحب النَّص، لكلِّ اسم وزنًا سابقًا له، خلافًا لما رأيناه في النَّص السَّابق.

وفي المقابل سقط منها (فُعِل، وفِعُل) لثقل النُّطق بهما؛ لأنَّ الخروج من الكسرة المستفلة المنخفضة إلى الضمَّة ثقيل لاستعلائها، ولم يذكر (ابن الحاجب) صوائت لام الصِّيغ الذَّاتيَّة؛ لأنَّه اعتبر اللاَّم صوتًا يُوقَف عليه، فهو دائما في الصِّيغ المذكورة منوَّن؛ ولكنَّه أهمل التَّنوين ورجَّح الجانب الصَّرفي على النَّحوي، في حين أنَّ التَّنوين هام وأساسي في الصِّيغ الذَّاتيَّة، لأنَّه يلوِّن ويغير شكل الصِّيغ ومادتها، ولتحليل التَّشكيلات الصَّوتيَّة للأبنية الذَّاتيَّة الثلاثيَّة، نُدرج فيما يأتي جدولاً موضحا لها؛ بدءاً بالفتح، فالضم، والكسر، والتَّنوين والمكرور"[7]" ثمَّ السكون.

جدول التَّلوينات الصَّوتيَّة للثلاثي

المكوِّنات	الصِّيَغ	الصَّوائت	الفتحات	الضمَّات	الكسرات	التنوين	المكرور	السكون
ثلاثيَّة	عشرة	30	07	05	05	10	00	03
النِّسبـة			23,33	16,66	16,66	33,33	0,0	10,0

مع مكوِّنات الجدول

يظهر في هذا الجدول، شيوع التَّنوين وتقدُّمه على غيره، متبوعًا بالفتح، وتوافَقَ صائتا الكسر والضَّم، وتأخَّر السكون الذي لم يعتبره اللغويون صائتًا، وشيوع التَّنوين هنا، أمر مهم بالنَّظر إلى قوالب الصِّيغ ومكوِّناتها، ومن المتَّفق عليه أنَّ الذَّوات لا يدخل السكون أواخرها، وما جاء هنا كان في وسط الصِّيغة الحدثيَّة، وصائت وسط الصِّيغة مجاله الحدثيات، وغير السَّاكنات الأواسط هنا، فيها نظر عند المورفولوجيين العرب، وهناك قاعدة تذهب إلى أنَّ: كلَّ اسم ثلاثي ساكن الوسط، يجوز تحريكه، وتسكينه، ويصبح في جميع الصِّيغ الذَّاتيَّة الثلاثيَّة وجهان: الحركة والسكون؛ والسكون ضرب من التَّمكين.

ومن أسماء التَّنوين اللاَّحق بالذَّوات، تنوين التَّمكين؛ وهو علامة (للأمكن عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستثقلون)" [8] " وإذا شاع التَّنوين هنا، فمعناه غلبة الخفَّة على الثِّقل، وإذا قلنا بهذا، يكون قد انتفى عن السكون صفة الخفَّة

الموصوف بها عند معظم اللغويين، وهذه نظرة جديدة في كميات الصَّوائت ووظائفها، بل وحتى في تصنيفها؛ لأنَّ السكون لا يعدُّ من الصَّوائت العربيَّة في الدِّراسات العربيَّة.

ولا ننساق مع الصَّوائت هنا كثيرا، لأنَّ الذَّوات لا تعمل فيها الصَّوائت عمل الصَّوامت، وإن كان للصَّوائت تأثير عليها، فهو دون مكوِّناتها من الصَّوامت، وإذا كان التَّنوين موقعه نهايات المباني الذَّاتيَّة، فإنَّ الصَّوامت العاملة في تحديد المباني موضعها النِّهايات غالبًا، وفي الوقف عليها بالسكون إزالة للصَّائت من نهاية الصِّيغة الموقوف عليها.

وسنُقدِّم لهذا رسمًا توضيحيًّا، يعبِّر عن شيوع الصَّوائت من التَّشكيلات الصَّوتية الذَّاتيَّة الثلاثيَّة، ومن بعده يأتي ذكر لوحة إحصائيَّة إجماليَّة للمقاطع الصَّوتيَّة لهذه الصِّيغ؛ ثمَّ تحليل المجاميع والنِّسب التي توصَّلنا إليها من كلِّ هذا، ويكون البدء بالرَّسم التَّوضيحي، فيما يلي"[9]":

جدول صوتيات الثّلاثي

الصيغة اللغوية	الميزان العروضي	الميزان الصرفي	التقطيع اللغوي	ف	غ	م ف	م غ	ق	س	ط
صَقْرٌ	فَعْلُنْ	فَعْلٌ	صعص/صعص						02	
جَبَلٌ	فَعَلُنْ	فَعَلٌ	صع/صع/صعص	02	01				01	
قُفْلٌ	فُعْلُنْ	فُعْلٌ	صعص/صعص		02				02	
جِذْعٌ	فِعْلُنْ	فِعْلٌ	صعص/صعص		02				02	
كَبِدٌ	فَعِلُنْ	فَعِلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
رَجُلٌ	فَعُلُنْ	فَعُلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
صُرَدٌ	فُعَلُنْ	فُعَلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
أُذُنٌ	فُعُلُنْ	فُعُلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
عِنَبٌ	فِعَلُنْ	فِعَلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
إِبِلٌ	فِعِلُنْ	فِعِلٌ	صع/صع/صعص	02	01			02	01	
المجاميع			27	14	13	0	0	14	13	0
النِّسب				51,85	48,1	0	0	51,8	59,2	0

مع مكوّنات اللَّوحة

اشتمل هذا الجدول على أحدَ عشر واديًا، الأربعة الأولى منها للحروف، والباقية للأرقام والأعداد. واختصَّت الحروف بالدَّلالة على الأسماء الثلاثيَّة من الذَّوات، وما يعادلها من الموازين المكوَّنة من الصَّوامت والصَّوائت. ومن هذه النَّظرة الأولى، تظهر الوظائف الصَّوتيَّة عاملةً موجِّهةً مؤسِّسةً للموازين؛ وتبقى الأرقام في مجال اللغة الشَّارحة المعبِّرة عمَّا جاءت به الصَّوامت والصَّوائت.

بين احتمالات التَّقطيع اللغوي والعروضي

نقول قبل التَّحليل، إنَّ الرَّمز العددي في حساب المفردات والجمل يعطينا القيمة الخفيَّة، وذلك بتعويض القيم العدديَّة إلى حروف مساوية لها، نحو:

(20،400،01،02) المساوية صوتيًّا لصيغة (كتاب) فهل نستطيع إيجاد رموز صوتيَّة تعطينا الأصوات الغائبة؟ مثلا المقاطع الصَّوتيَّة التَّالية: (صع/صعع/صعص) إذا حاولنا إيجاد الصِّيغة المساوية لها؛ فإنَّنا نقع أمام عدَّة صيغ احتماليَّة، قد تكون: (كِتَابٌ أو رِمَالٌ أو جِمَالٌ أو لِبَاسٌ) فالصِّيغ كثيرة والمقطع الصَّوتي، يعطينا عدَّة احتمالات، والمقطع الشِّعري كذلك مثل الصَّوتي في وجود هذه الاحتمالات، فتفعيلة (فَاعلُنْ) تشترك فيها صيغ عدَّة، نحو: (مَالِكٌ أو شَاهِدٌ أو سَالِمٌ...) وغيرها من الصِّيغ على الوزن نفسه.

ونرى بضرورة التَّوصُّل إلى مقطع مناسب، يعطينا الصَّوت الغائب (الشَّفرة) فلا المقطع الصَّوتي ولا الشِّعري يعطيان لنا هذا؛ لأنَّ المقطع هو وعاء صوتي قابل لعدَّة احتمالات ومختلف التَّوقُّعات التي تختلف في دلالاتها، وتتَّفق من حيث كميَّتُها الصَّوتيَّة التي تعبِّر عن فكرة؛ لأنَّ المقطع يساوي فكرة ويُعبِّر عنها.

بين الميزان والموزون

وبالرجوع إلى وديان اللَّوحة الإحصائيَّة السَّابقة الذِّكر، بحسب رتبها وترتيبها، يظهر في أوَّلها وادي الذَّوات بالوزن والتَّعيين والتَّمثيل، وقد اختيرت هذه الأسماء؛ لتكون متطابقة مع موازينها الصَّوتيَّة، وما يلفت الانتباه هنا، أنَّ الموازين يراعى فيها دائما مطابقتها للموزون؛ ولكنَّها هنا على غير ذلك؛ إذ يتم اختيار اسم الذَّات المتطابقة مع الميزان، وكأنَّ الميزان صار سابقًا للموزون، وما ذلك إلاَّ أحكام مُسبقة يترتَّب

عنها إقصاء أسماء ذوات، واعتبارها غير عربيَّة أو شاذَّة عندما تختلف بنيتها وتشكيلها عن المقياس الصَّوتي المتَّخذ من أجل قياسها؛ ومن هنا، يصير الصَّوت بحقٍّ موجِّها للمباني الذَّاتيَّة وعاملاً أساسيًّا في إنشائها.

ومن أجل تحقيق هذه النَّظرة، جاء بعد كل اسم ثلاثي ثلاثة وديان تزنه، وتؤكِّد مدى مطابقة هذا الاسم للمقاييس الصَّوتيَّة، وأصبح كلُّ اسم ذاتي ثلاثي المكوِّنات لا يكتسب شرعيته إلاَّ بعد أن توافق عليه الموازين الصَّوتيَّة الثَّلاثة التي هي : الميزان الشِّعري بتفعيلاته، والصَّرفي بصوائته، واللغوي بمقاطعه؛ وما خالف هذه الموازين وتخلَّف عنها يتنحَّى عن مجال الاستعمال الرَّسمي.

وبالنَّظر إلى صوامت التَّشكيلات العاملة فيما سبق، فقد اختيرت على أساس المطاوعة والليونة في المعاملة مع الصَّوائت؛ ومن المعلوم أنَّ للتَّشكيلات الصَّوتيَّة في المباني المورفولوجيَّة ثلاث حالات، سمَّاها اللغويون المتمكَّن الأمكن، والمتمكِّن غير الأمكن، وغير المتمكِّن وغير الأمكن، والأوَّل منها هو الذي يتعامل مع كلِّ الصَّوائت إفرادًا وتكريرًا، وسَّموه المنصرف وهو المنوَّن أيضًا.

بين التَّنوين والتَّقطيع الصَّوتي

بالرجوع من جديد إلى أسماء الذَّوات الوارد ذكرها من قبل، نجدها كلها منوَّنة مصروفةً فهي من المتمكِّن الأمكن، وتكرَّر التَّنوين في جميع وديان الجدول شكلاً ونطقًا، وظهرت النُّون معبِّرة بغنَّتها عن تمكُّن جميع ما ورد من الأسماء، والتَّنوين نون ساكنة منطوقة غير مرقونة عند اللغويين؛ ومن هنا، فهي وسط بين الصَّوامت والصَّوائت، أو لنقل: التَّنوين هو الصَّوت الذي يجمع بين الصَّامت والصائت؛ وهو علامة التَّمكين، ومن نظرة أخيرة للجدول، يظهر أنَّ التَّنوين الذي هو صورة صوتيَّة منطوقة مرسومة، هو علامة التَّمكين؛ ومن هنا أيضًا، نقول الصَّوت هو العامل الموجِّه المخصِّص للمبنى المورفولوجي.

ويُعبَّر عن التَّنوين عند التَّقطيع اللغوي، بالمقطع المغلق (صعص) كالباء المنوَّنة في (كتابٌ) أو إغلاق المفتوح (صعصص) كالوقوف على كلمة (بحر) بالسكون؛ وباستنطاق نهايات أرقام الجدول، يمكن أن نصف تشكيلات الذَّوات الثلاثيَّة البناء بأنَّها رباعيَّة

الأوصاف في ترتيبها؛ وجاءت على التَّنظيم الآتي: المتوسِّطة، فالمفتوحة، وبعدها القصيرة، ثمَّ المغلقة، فقد احتلَّت المقاطع المتوسِّطة الرتبة الأولى، وجاءت المغلقة في الرَّابعة، وهذه الرُّتب حدَّدها الصَّوت بمقاطعه اللغويَّة؛ وهذا جميعه في التَّشكيلات الثلاثيَّة، وقد يكون فيما فوقها متطابقًا معها أو مخالفًا لها، وعامل الصَّوت هنا، يكمن في سقوط الأوزان الثَّقيلة النطق؛ وجميعه هو ما سيظهر لاحقًا؛ ومن بعد هذا، يأتي حديث أبنية الأسماء الرباعيَّة وتحديد عامل الصَّوت في توجيهها، وتلويناتها المختلفة.

مكوِّنات الرباعي

للصِّيغ المورفولوجيَّة الذَّاتية الرباعيَّة أربعة أبنية، قال فيها ابن الحاجب: (وللرُّباعي خمسةٌ: جَعْفَرٌ، زِبْرِجٌ، بُرثُنٌ، دِرْهَمٌ، قِمَطْرٌ، وزاد الأخفش نحو جُخْدَبٌ) "[10]" وجاء صاحب هذا النَّص، بأمثلة للأسماء الرباعيَّة؛ أمَّا أوزانها فهي: (فَعْلَلٌ، وفِعْلِلٌ، وفُعْلُلٌ، فِعْلَلٌ، فِعَلٌّ + فُعْلَلٌ) وهذا الوزن الأخير، ذكره (الأخفش) وبه يكون عدد أوزان الصِّيغ الرُّباعيَّة ستَّة.

تكرَّرت الكسرة أربع مرَّات في الصِّيغ الآتية: (دِرهمٌ) في موقعيَّة البداية، ومرَّتين في (زِبرِجٌ) حيث جاءت فاؤها ولامها الأولى مكسورتين، و(قِمَطرٌ) كُسرت فاؤها كذلك؛ ثم تليها الضمَّة ثلاث مرَّات، في: (بُرثُنٌ) مرَّتين وفي (جُخدَبٌ)؛ وفاقت الفتحة مجموع صائتي الضمَّة والكسرة؛ حيث بلغ عدد الفتحات في الصِّيغ الرباعيَّة خمسا، واحتلَّت بذلك الصَّدارة، وبقي نزاع الشُّيوع بين الكسرة الدَّقيقة الرَّقيقة التي فاقت الضمَّة هنا، وتأخَّرت بذلك الضمَّة عنها التي يقال عنها، إنها دليل القوَّة والثَّبات في المباني الموفولوجيَّة، وبخاصَّة الحدثيَّة منها.

ويكمن دور عامل الصَّوت، وتوجيهه لشكل ودلالة الصِّيغ المورفولوجيَّة الذَّاتية الرباعيَّة، في عدم توالي أربع حركات في صيغة واحدة، نحو الفعل الماضي (كتَبْتُ) المسند إلى المفرد المتكلِّم، حيث سُكِّنَت الباء وحقُّها النَّصب، وذلك لدفع كراهة توالي أربع متحركات"[11]" مع وجود هذا التَّتابع في مثل هما (كَتَبَتا) ويهدف كل تنظيم صوتي إلى تحقيق الانسجام بين المكوِّنات، وإن وردت أمثلة من هذا النَّوع، فهي متغيِّرة عن الأصل؛

ونخلص من ذلك، إلى أنَّ الرباعي من الصِّيغ الذَّاتيَّة، لابدَّ من إسكان ثاني صوامته أو ثالثها، وتعليل ذلك صوتي؛ يتمثَّل في تحقيق الانسجام والتَّوازن بين المكوِّنات، وتحقيق تكامل نطق الصِّيغة، الذي يحصل بالزِّيادة أو النقصان، كما رأينا مع المد سابقا.

والملاحظ، أنَّ هذه الأوزان تعدَّدت أشكالها؛ لاختلاف صوائت صوامتها، وما يلفت الانتباه فيها، أنَّ فاءها غلب عليها صائت الكسرة . من بعد الفتحة الحيادية الشائعة في غالب الأحوال . لأنَّ كمية الكسرة في حدِّ ذاتها، أقوى من غيرها،كما أنَّ كثيرا من الصِّيغ تمال عند النطق بها نحو الكسر"[12]" ولتحليل التَّشكيلات الصَّوتية للصِّيغ الذَّاتية الرباعيَّة، هذا تلخيص لمكوِّناتها . كما رأينا مع الثلاثيَّة . في الجدول الآتي:

جدول تشكيلات الرباعي

عدد المكوِّنات	الصِّيغ	الصَّوائت	الفتحا	الضمات	الكسرا	التنوين	المكرور	السكون
رباعية	06	24	05	03	04	06	01	05
النسبة			**%20,83**	**%12,5**	**%16,66**	**%25**	**%4,16**	**%20,83**

وقفة مع الجدول

يظهر من مكوِّنات الجدول السَّابق للتَّشكيلات الصَّوتيَّة للذَّوات الرباعيَّة، أنَّ مجموع صوائتها الإجمالي (24) صائتًا، شاع فيها التَّنوين، مقارنة ببقيَّة الصَّوائت؛ وبلغ مجموعه ستة صوائت مكرورة، بنسبة (25 %)؛ حيث حافظ على رتبته التي وجدناه عليها في الثلاثيات، ومن بعده الفتحة والسُّكون في رتبة واحدة بمجموع خمسة صوائت؛ مع أنَّ التَّنوين والسكون يلتقيان في التَّركيز الصَّوتي؛ ومن هناك، قالوا في التَّنوين (هو نون ساكنة). ومن بعدها الكسرة، فالضمَّة ثمَّ المكرور.

ومن هذه الرُّتب والمجاميع، تظهر أهمِّية السكون من بين الصَّوائت العربيَّة؛ من خلال ما شغله من مساحة في مجال الذَّوات، بالرَّغم من غيابه في موازين الحدثيات، وغياب الإشارة إلى دلالاته في الصِّيغ والتَّراكيب، وفي الصِّيغ الخمسة الأولى كان موقع السكون منها مع الصَّامت الثَّاني، وفي الصِّيغة السَّادسة مع الصَّامت الثَّالث، وسبقته الكسرة في صيغتين والضمَّة كذلك، وجاء مسبوقا بالفتحة في صيغة واحدة؛

وبعد تقديم الجدول السَّابق بمكوِّناته وأعداده، هذا تلخيص لشيوع الصَّوائت من تشكيلات الرباعي، في الرَّسم الآتي:

جدول المقاطع الصَّوتيَّة للرباعي

أوزان الرباعي	التقطيـــــع الصوتي	نوعية المقاطع				كميات المقاطع		
		ف	غ	مف	م غ	ق	س	ط
فَعْلَلٌ	صعص/صع /صعص							
فِعْلِلٌ	صعص/صع /صعص	01	02			01	02	
فُعْلُلٌ	صعص/صع /صعص	01	02			01	02	
فِعْلَلٌ	صعص/صع /صعص	01	02			01	02	
فَعْلِلٌ	صعص/صع /صعص	01	02			01	02	
فِعَلٌ	صع/صعص /صعص	01	02			01	02	
المجموع	18	06	12	00	00	06	12	00
النسبة		33,33 %	66,66 %	0 %	0 %	33,33 %	66,66 %	0 %

رأي في الجدول

تكوَّن الجدول السَّابق من حيث عدد خاناته وتقسيماته، وعناوينه كسابقه المرسوم في إحصاء المقاطع الصَّوتيَّة للصِّيغ الثلاثيَّة"[13]" عدا خانة المقاطع العروضيَّة، ومع اختلاف المكوِّنات الدَّاخليَّة طبعًا؛ حيث بلغ مجموع المقاطع الصَّوتيَّة للصِّيغ الرباعيَّة (18) مقطعًا، وكان عدد المقاطع المغلقة من حيث مجموعُها ونسبتُها ضعف المقاطع الصَّوتيَّة المفتوحة، بمجموع (12) مقطعًا وبنسبة قدرها (66,66 %)، ومثلها المقاطع المتوسِّطة من حيث الكم في المجموع والنِّسبة، وانعدمت المقاطع المزدوجة بنوعيها المفتوحة والمغلقة من حيث النَّوع، كما انعدمت المقاطع الطَّويلة من حيث الكم.

وعلى أساس مراعاة المراتب والمواقع، فإنَّ جميع موقعيات الوسط احتلتها مقاطع قصيرة، وجاءت وسطا بين مقطعين متوسِّطين؛ فكان المقطع القصير هو الوسيط، وهو موطن التلاقي بين مقطعين متوسِّطين، وبهذا التَّوزيع الصَّوتي لكميات المقاطع، يتحقَّق للتَّركيبة المورفولوجيَّة الرباعيَّة انسجامها باعتدال مكوِّناتها.

وإذا عدنا إلى العامل الصَّوتي فيما ورد من مقاطع، وفيما انعدم منها، فإنَّه يقودنا إلى مبدأ الخفَّة والانسجام الصَّوتي، وكذا مراعاة مبدأ الاقتصاد في الجهد؛ ودليل ذلك خلوّ هذه الصِّيغ من المقاطع المزدوجة؛ أي المركَّبة لثقل النطق بها، وشاعت المقاطع المغلقة، ومن بعدها المفتوحة، ثمَّ المتوسِّطة؛ وهذا حديث أبنية الصِّيغ الذَّاتيَّة الخماسيَّة.

تشكيلات الخماسي

للصِّيغ الذَّاتيَّة الخماسيَّة أربعة أبنية، ذكرها (ابن الحاجب) في قوله: (وللخماسي أربعة: سَفَرْجَلٌ، قِرْطَعْبٌ، جَحْمَرِشٌ، قُذَعْمِلٌ)" [14] " وإن حيدنا صيغة (فَعلِلٌ)" [15] " التي أتت صفةً؛ لأنَّه ذكر أمثلة، ولم يأت بأوزان، فقد استدرك هذا الأمر صاحب (فتح اللَّطيف) وذكر الأوزان وألحقها بأمثلة، ورغم هذه الإضافة المسجَّلة؛ فإنَّه كان يمزج بين الذَّوات والأوصاف. وذلك ما سجَّلناه في حديث (ابن الحاجب) عن أبنية الصِّيغ الذَّاتية الخماسيَّة، ممَّا جعلها خمسة أبنية، وهي في الحقيقة أربعة للسَّبب المذكور سابقًا.

وما نشير إليه في حديثنا عن أبنية الصِّيغ الذَّاتية الرباعيَّة والخماسيَّة، أنَّ فيها نظرًا سيما ما يتعلَّق بعدد كلِّ نوع، ويرى (الأسترأبادي) في شرحه للشَّافية اعتمادًا على الحساب، والتَّقليبات الاشتقاقيَّة أنَّه كان ينبغي أن يكون للرباعي خمسة وأربعون بناء، وذلك بأن تضرب ثلاث حالات الفاء، في أربع حالات العين، فيصير اثني عشر، تضربها في أربع حالات اللاَّم الأولى أن يكون ثمانية وأربعين، يسقط منها ثلاثة لامتناع احتمال السَّاكنين؛ وكان حقُّ أبنية الخماسي أن تكون مائة وأحدا وسبعين"[16]" ومن هنا نقول: لو تحقَّق هذا العدُّ الحسابي لإثبات كلِّ هذه المباني، لكان شكل الصِّيغ أكثر ممَّا ورد سابقًا، وحينها يلعب العامل الصَّوتي دورًا هامًّا في توجيه نطقنا؛ للتَّفريق بين كلِّ هذه الصِّيغ؛ ولكن ما جاء به شارح الشَّافية، كان مجرَّد احتمالات ولم تتحقَّق استعمالاً.

جاءت فاء هذه الصِّيغ، متنوّعة الصَّوائت بالفتح والضَّم والكسر، مفتوحة في (فَعَلّلٌ نحو سموألٌ) ومضمومة في (فُعَلِّلٌ نحو خُزَعْبَلٌ) ومكسورة في (فِعْلَلٌ نحو قِرطعبٌ) وبالنَّظر لصوائت كلٍّ من العين، واللاَّم نجد التَّساوي كذلك؛ للعين فتحتان، وللاَّم كسرتان، مقابل سكون واحد للعين، وغياب الضمَّة هنا؛ حيث جاءت التَّلوينات الصَّوتيَّة مميزة لكلِّ صيغة عن أختها، فالصَّوامت خمسة في كلِّ بناء؛ ولكن مواقع الصَّوائت هي التي نوَّعت هذه التَّشكيلات وميَّزت بينها.

وهناك من يرى، أنَّ أصل الصِّيغ الذَّاتيَّة، ثلاثي أو رباعي؛ أمَّا الصِّيغ الخماسيَّة، فهي أسماء مُعرَّبة، ولا توجد في الأصل العربي"[17]" ومثال ذلك: (إسماعيل، وإبراهيم، وطالوت، وجالوت) ووُجد في الاستعمال ما يخالف هذه القاعدة، بدليل ما ذكرناه من أمثلة عن أبنية الخماسي، الذي تكون مجموع صوامته أصليَّة لا زيادة فيها، وهذا جدول تلخيصي لتشكيلات الصِّيغ الخماسية.

جدول تشكيلات الخماسي

المكونات عدد	الصيغ	الصوائت	الفتحات	الضمات	الكسرات	التنوين	المكرور	السكون
خماسية	04	20	06	02	03	04	03	02
النسبة			30	10	15	20	15	10

مع المكوِّنات

لقد بلغ مجموع الصَّوائت في الصِّيغ الخماسيَّة عشرون صائتاً (20)، وشاع فيها صائت الفتحة مقارنة ببقيَّة الصَّوائت، وكان مجموعها (06) ونسبتها (30%)، ومن بعدها التَّنوين بمجموع (04) ونسبته (20%) وكانت موقعيته آخر الصِّيغ الأربع، ثمَّ الكسرة والمكرور في رتبة واحدة وبمجموع واحد (03) بنسبة (15 %)، ومن بعدهما الضمَّة التي كانت أقل شيوعًا فتكرَّرت مرَّتين بنسبة (10%) واحتلَّت موقعيَّة البداية من صيغتين مرَّة واحدة في كلٍّ منها؛ ومما يلاحظ هنا، أنَّ شيوع الصَّوائت في أبنية

الثُّلاثي والرُّباعي والخماسي، كان يتقدَّمها في الغالب الفتحة والتنوين والكسرة ثم السكون. ووجدنا في كلِّ بناء صدارة الكسرة عن الضمَّة . عدا تساويهما في الثلاثية . وللتَّذكير؛ فإنَّ مجموع الكسرات والضمَّات في الثلاثي والرباعي والخماسي كالآتي:

جدول صوائت الصِّيغ

الصِّيغ	الكسرة	الضمَّة
الثلاثية	05	05
الرباعيَّة	04	03
الخماسيَّة	03	02
المجموع	12	10

جدول المقاطع الصَّوتيَّة في الخماسي

أوزان الخماسي	التقطيع الصوتي	نوعية المقاطع الصوتية				كميات المقاطع		
		ف	غ	م ف	م ق	ق	س	ط
فَعَلَّلٌ	صع/صعص/صع/ صعص	02	02			02	02	
فُعَلَّلٌ	صع/صعص/صع/ صعص	02	02			02	02	
فَعْلَلِلٌ	صعص/صع/صع/ صعص	02	02			02	02	
فِعْلَلٌ	صعص/صعص/صع ص		03				03	
المجموع	15	06	09	00	00	06	09	00
النِّسبة		40 %	60 %	00 %	00 %	40 %	60 %	00 %

التَّشكيلات الصَّوتيَّة الذَّاتية بين علامات التَّقطيع اللغويَّة والشِّعريَّة

بين التَّقطيع الصَّوتي والخلفيَّة الذِّهنيَّة

لقد أشرت من قبل، إلى أهمية المقطع الصَّوتي باعتباره الوحدة القاعديَّة للغة، ولم أتوسَّع في ذلك، انتظارا لتتمَّة الحديث عن جميع كميات الصِّيغ الذاَّتية، من الثلاثيَّة حتىَّ الخماسيَّة، وميَّزت الذاَّتية على أساس أنهَّا عنصر الإسناد، والتقى بُعد الصِّيغة الذَّاتيَّة مع المقطع، باعتبارها وحدة الإسناد، والمقطع وحدة البناء.

ولمَّا كان المقطع الصَّوتي كميات متتابعات، فهو يمثَّل سلسلة كلاميَّة متآلفة الحلقات، متتابعة، متناسقة، معبِّرة عن خلفيَّة فكريَّة. في إفراد أو تركيب، ويحمل كل تركيب منها خصائص تعكس الصورة الذَّهنية والدّلالات المرتبطة في السّياقات اللغويَّة، وسياقات الحال، وفق تنوعات صوتيَّة منتظمة"[18]" ومن هنا، كان المقطع وحدة فكر وتفكير، قبل أن يكون وحدة صوت وتصويت.

ومن هذا المنظور، تكون المقاطع الصَّوتية شحنات فكريَّة مرسلة من النَّاطق إلى المتلقي مؤثِّرة بما على جهازه العصبي بنوعيَّة ما تحمله من صوائت وصوامت، ومن هذا المنظور، عرَّف (الفارابي) المقطع بقوله: هو كل (حرف غير مصوّت أتبع بمصوِّت قصير فإنَّه يسمَّى المقطع القصير، والعرب يسمّونه الحرف المتحرِّك، وكل حرف لم يتبع بصوت أصلا"[19]" وحركات المقاطع وسكناتها، هي انعكاسات لخلجات النَّفس والفكر. ومن هنا، بات من الممكن إقامة العلاقة بين كميات المقاطع ونوعها مع خلفيات ما تحمله من دلالات.

بين نوعيَّة المقاطع وكمياتها

وفي هذا الجدول الذي يجمع مقاطع الخماسي، نسجِّل حضور نوعين من أربعة، هما المفتوح والمغلق، وغاب مزدوجا الانفتاح والانغلاق، وفي الكميات حضر نوعان أيضا هما القصير والمتوسط، وغاب المقطع الطَّويل. وفي ما بين الكم والنَّوع حضر أربعة وغاب ثلاثة، ومع ذلك حصل التَّوافق في الحضور بين النَّوع والكم، وهو حضور المفتوح والمغلق القصيران في النَّوعيات، والقصير والمتوسِّط في الكميات. ومن هنا حصل التَّوافق والانسجام في مقاطع الجدول المخصَّص للصِّيغة الخماسيَّة الذَّاتية؛ وتبقى ظاهرة

الانسجام تنتظر التَّعليل.

من الملاحظ أنَّ مقاطع الجدول لا تعبّر عن ذوات، مع أنَّها في موضوعها ومجالها، وإنَّما تعبّر عن موازين الذَّوات التي كانت أربعة، والمقاطع الحاضرة أربعة، والميزان ينتظر منه التَّساوي في ما يوزن به، وقد حصل هذا التَّوازن والتَّوافق هنا، في العدد والنِّسب التي تساوت فيها نهايات الخانات، وكانت خلاصة وصفها في ما هو آت.

لقد شاعت المقاطع المغلقة من حيث نوعُها، من خلال مجاميع ونسب المقاطع الصَّوتيَّة للصِّيغ الذَّاتيَّة الخماسيَّة، بمجموع (90) ونسبة بلغت (60 %)؛ وكان عدد المقاطع المفتوحة (06) بنسبة (40%) وغابت المقاطع المزدوجة بنوعيها.

أمَّا من حيث الكميَّة؛ فشاعت المقاطع المتوسِّطة وماثلت المغلقة من حيث المجموع والنِّسبة، ومن بعدها القصيرة بمجموع ونسبة يماثلان ما رأيناه مع المقاطع المفتوحة، وانعدمت المقاطع الطَّويلة؛ ومن الصِّيغ الذَّاتية، ما جاء متداخلا، وأشرنا إليه من قبل ونأتي إلى تحليله، والتَّمثيل له فيما يأتي.

المتداخل

إنَّ المتداخل من الصِّيغ المورفولوجيَّة الذَّاتية، هو ما سمَّاه (ابن الحاجب) بردِّ بعض الأبنية إلى بعض، ومنها: (فَعِلٌ ممَّا ثانيه حرف حلق كَفَخِذٍ يجوز فيه فَخْذٌ وفِخْذٌ وفِخِذٌ، وكذا الفعل كشهِدَ، ونحو كَتِفٍ يجوز فيه كَتْفٌ وكِتْفٌ، ونحو عَضُدٍ يجوز فيه عَضْدٌ، ونحو عُنُقٍ يجوز فيه عُنْقٌ، ونحو إِبِلٍ وبِلِزٍ يجوز فيهما إِبْلٌ وبِلْزٌ ولا ثالث لهما، ونحو قُفْلٌ)" [20] " وما يمكن استخلاصه من هذا النَّص، أنَّ الصِّيغ الذَّاتية المتداخلة، اقتصرت على التَّشكيلات الثلاثيَّة، ويشترط في تبدُّل شكلها أن يكون الصَّامت الثَّاني فيها أحد الحروف الحلقيَّة . حسب صاحب النَّص . والملاحظ، أنَّ هذا الشَّرط لا يتحقَّق مع كلِّ الصِّيغ المذكورة بالنَّص؛ لما فيه من خلط، وهو تداخل الأمثلة، وتداخل الصَّوامت والصَّوائت في كلِّ مثال؛ لأنَّ صاحب النَّص، يرى أنَّ التَّداخل يكون في الصِّيغة التي ثانيها حرف حلق؛ بينما نجد ذلك حاصلا فيما خلا من حرف الحلق تماما، أو ليس في أوَّله، مثل (عضد، وكتف).

اختلفت الصِّيغ المورفولوجيَّة، ما بين ثلاثة أشكال، إلى شكلين كأدنى حدٍّ

للصِّيغة الواحدة، وذلك من حيث الأبنية، ويصاحب تغيير صوامت الصِّيغة كلِّها، تغيير صوائتها، في مثل (فَخِذ) التي جاءت مفتوحة الفاء، ومكسورة العين، وهذا شكلها الأول، وتأتي على شكل آخر بفتح الفاء، وتسكين العين، أي (فَخْذ) تخفيفا، أو تأتي مكسورة الفاء، وساكنة العين بهذا الشَّكل (فِخْذ) تركيزا وتخفيفا؛ وآخر شكل هذه الصيغة أن تأتي مكسورة الفاء والعين (فِخِذ) إتباعاً.

والتَّحول في ما سبق من الصِّيغ، حاصل في الصَّائت الأوَّل والثَّاني من كلِّ تشكيل مورفولوجي؛ وذلك لأنَّ حركة آخر الصِّيغة مقتضى إعرابي لا دخل للمتداخل فيه، وقد يوقف عليه بالتَّنوين، وهو نوع من التَّسكين، وذلك بالنَّظر إلى كميَّته الصَّوتيَّة المسموعة؛ أمَّا صيغة (كتف) فنجد فيها اختلافا في موقعيَّة الصَّوائت، وهذا يؤشِّر على اختلاف لهجات العرب، التي تؤثِر البعض منها الجري وراء تحقيق الحد الأدنى من قانون التَّسهيل الصَّوتي"[21]" وهذه أوزان صيغة (كتف) ومقاطعها الصَّوتيَّة في تشكيلاتها الأربع"[22]" التي جاءت عليها، في الجدول الآتي:

جدول الكمِّيات الصَّوتيَّة في المتداخل

الصِّيغة	وزنها الصَّرفي	مقطعها الصَّوتي
كَتِفٌ	فَعِلٌ	صع/صع/صعص/
كَتْفٌ	فَعْلٌ	صعص/صعص/
كِتْفٌ	فِعْلٌ	صعص/صعص/
كِتِفٌ	فِعِلٌ	صع/صع/صعص/

تعقيب

يتَّضح من خلال الجدول السَّابق، أنَّ الصِّيغ المورفولوجيَّة المتداخلة من (كتف) أربع حسب ما جاء به عبد القادر عبد الجليل؛ ولكن الصِّيغة المتتابعة الكسرات (كِتِفٌ) فيها نظر؛ بينما تكون صيغة (كَتِفٌ) الملونة التَّشكيل الصَّوتي هي الأكثر استعمالاً مقارنة بغيرها؛ لأنَّها تتناسب في تلوينها وتبدلاتها وعدم الرَّتابة في أصواتها وسرعة النُّطق بها حال

العربي في بداوته، ومن ثمَّة تُعَدُّ من سمات سكان البوادي والصَّحارى، فالفتح أخف الحركات الثَّلاث؛ لما يتميَّز به من درجة الانفتاح، وعين الصِّيغة المكسورة ولَّدت مقاطع صوتيَّة ثلاثة، يسهل معها الانتقال والتَّحوُّل، وهذا ما يسعى إليه رجل الصَّحراء، ولذا فإنَّنا نرى أنَّ صيغة (كَتِفٌ) هي الأكثر قبولا صوتيًّا مقارنةً بالصِّيغ الأخرى؛ لتوافر المقاطع الصَّوتيَّة المفتوحة (OPEN SYLLABLES) التي هيَّأت مدارج الانتقال، من الصَّائت الأمامي المفتوح إلى الصَّائت الأمامي المغلق، وهذا تدرُّج يتَّصف بالانحدار الصَّوتي المعاكس من الأخفّ إلى الأقلّ خفَّة، وهو ما يتطلَّبه الصّعود؛ لتحقيق الصَّائت الخلفي الضيِّق" [23]" ويقصد بهذا الأخير صائت الكسرة.

الهوامش:

1- سيبويه، الكتاب، تح، عبد السلام محمد هارون، ج 3، ص 322، س 2، مط، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1966م.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج 1، ص 55، تح، عبد الله درويش، مط، العاني، بغداد، ط1، (1967م).

3- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 44. وقام بدراسة إحصائية باستخدام الكمبيوتر، في معجمه الجيم والكمبيوتر، توصَّل إلى أنَّ: "عدد الجذور الثلاثية بلغ 2931 جذرا بنسبة 80,93 %؛ والجذور الرباعية 647 بنسبة 17,97 %، والجذور الخماسية 39 بنسبة 1,08 %" نفسه، ص 44، بتصرف.

4- ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 35. وينظر، ابن جني، التَّصريف الملوكي، ص 04/03، تصحيح، وشرح، محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي، ط 1، مط، شركة التَّمدن الصناعية، مصر.

5- سيبويه، الكتاب.ج 4، ص 146. س 12. وقال في موضع آخر: (ليس في الدنيا حرف أوله مكسور وثانيه مضموم).

6- عمر بن أبي حفص الزموري، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ص 61.

7- آثرنا ذكر مجموع التنوين والمكرور: (التضعيف)، حتى يكتمل الحساب من جهة، ولأهمية التَّنوين كما ذكرنا من جهة أخرى، ولنا عودة إليه، من خلال تحليل مكوِّنات الجدول، وكذلك أهمية السكون جعلتنا ندرجه؛ قصد تحليله.

8- سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 22.

9- ونشير إلى أنَّ الرمز (ف) هو مقطع مفتوح، و(غ) مغلق، و(م/ف) مزدوج الانفتاح، و(م/غ) مزدوج الانغلاق، و(ق) قصير، و(س) متوسط، و(ط) طويل، وأنَّ هذه الرموز ستتكرر في جداول هذا الفصل، وغيرها بهذا الشكل.

10- ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 47. والزموري، فتح اللطيف، ص 59.

11- محمد محي الدين عبد الحميد، شرح الأجرومية، ص 75.

12- مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص 125.

13- ينظر تفصيل الحديث عن المقاطع وتقسيماتها عند، ديفيد ابر كرومي، مبادئ علم الأصوات العام، ص 55 وما بعدها، ترجمة وتعليق محمد فتيح، ط 1، (1988م).

14- ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 47.

15- الزموري، فتح اللطيف، ص 60.

16- رضي الدين الأسترأبادي، شرح الشافية، ج 1، ص 47.

17- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 229، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ت).

18- عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية، وموسيقى الشعر العربي، ص،47، مط، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط، 1، (1998م).

19- أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، ص،10 ،75، تح، وشر، غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير، محمود أحمد الحفني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، وينظر ذلك عند، أمينة طيبي، المقطع اللغوي عند الفارابي، ص 133، وما بعدها، مقال بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، العدد 03، أبريل (2004 م).

20- ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 39.

21- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 259.

22- ذكر هذه الصيغ عبد القادر عبد الجليل، ص 259، بتصرف واختصار. نفسه، ولكن لم يذكرها بمقاطعها الصوتية في جدول كالوارد ذكره.

23- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 260، باختصار وتصرف.